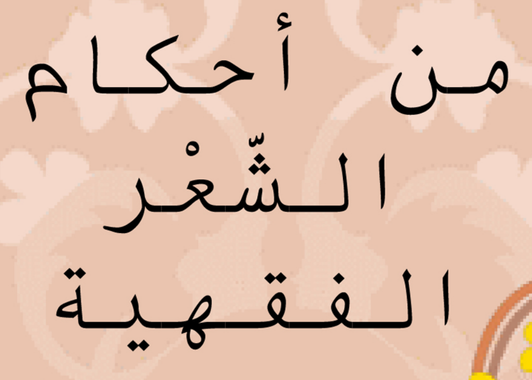


من أحكام الشّعْر الفقهية

د. أحمد صالح علي بافضل

دكتوراه في العلوم الإسلامية

جامعة الزيتونة – تونس



من أحكام الشَّعْر الفقهية

د. أحمد صالح علي بافضل

دكتوراه في العلوم الإسلامية

جامعة الزيتونة – تونس

العنـــــــوان: من أحكام الشّعْر الفقهية
المـؤلـــــف: الدكتور / أحمد بن صالح بن علي بافضل .
الطبعة الأولى: ١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

دار العلم والدعوة
تريم ـ حضرموت ـ اليمن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة :

الشعر هو النسمة التي تُضفي الهجود والاستجمام على مُلامسها ، وهو البلسم الذي لا يَبقى معه داء ولا هم و(هو السحر الذي يهز أوتار القلوب بمعانيه الأخاذة وكهربائيته الجذابة، فيسمو بالأرواح إلى ملامسة الحقائق، ويطير بالخيال إلى منتهى الآفاق، فتحلق القرائح والأذهان عند سماعه في أودية مترامية الأطراف) (١).

عندها تتدفق من ثنايا قوافي الشاعر صنوفٌ من العطايا والهبات النفسية والعاطفية ، هذا إن كانت الأنوار تُضيء طريقه وإلا تراه يندفع بانفعالاته وأهوائه كالمتحلل البهيمي لا يحدّه فكرٌ ولا يقيده ضابط ومن ثم قد يصل به الأمر إلى البهيمية أو الإلحاد لكن أن يتخذ في شعره الإسلام موجها وضابطاً له في انفعالاته وأقواله فذاك الذي ينتفع إن شاء الله هو أولاً بشعره وينفع غيره .

فمن هنا كان لزاما أن تتضح الأنوار الإلاهية والنبوية (الضوابط الشرعية) التي تحدد مواضع النفع في شعره..

وهذه الوريقات إن شاء الله على طريق إيضاح الرؤية ، كما أنها أيضاً مذكرة لأهل العلم والاختصاص لإغناء هذا المبحث وتبيينه وتأصيل مسألة الشعر وغيره من الفنون كالمسرح والقصة والمسرحية و... والله أعلم .

---

(١) من مقدمة الكاتب الشهير الأستاذ محمد بن هاشم رحمه الله لديوان الشاعر زين العابدين الجنيد رحمه الله ص٢ .

وأشكر كل من تفضل بمناقشة المحتوى أو مراجعة النص وأخص بالذكر الدكتور أحمد سعيد عبيدون والأستاذ الدكتور محمد عبد القادر العيدروس الذين تفضلا بقراءة هذه الأسطر وإبداء الملاحظات عليها...

كما أشكر شيخنا وأستاذنا الأديب حسين عيدروس عيديد -رحمه الله- الذي تكرم بسماع بعضها وكذلك السيد الشاعر محمد بن عبد الله بن بصري السقاف وأختم بشكري للشاعر الأستاذ سالم الفلق فجزى الله الجميع خيرا.

ونسأل الله التوفيق لإعادة الموضوع بتوسع أدق وأعمق وأشمل وإخراج أتقن آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله
رب العالمين..

كتبه/ أحمد بن صالح بن علي بافضل/
تريم ٩ جماد آخر ١٤٢٦هـ، يوليو ٢٠٠٥م

توطئة في أصل حكم الشعر :

الشعر كلمات يتفوه بها شاعر ، والكلام لا يعاب مجرداً بل بحسب المضمون والمعاني والوضع الذي قيل فيه فيختلف من مدح وذم وصدق وكذب وحكمة وفحش ولغو أو ذكر الله عز وجل.

فالشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وقد حكى ابن حجر عن ابن عبد البر الإجماع[١] على ذلك ، ونسبه النووي إلى كافة العلماء [٢] .

واستدل بأدلة منها ما رواه الطبراني عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلّم: «الشِّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ، فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ» [٣] .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: «الشِّعْرُ مِنْهُ حَسَنٌ وَمِنْهُ قَبِيحٌ، خُذْ بِالْحَسَنِ وَدَعِ الْقَبِيحَ» [٤] .

---

(١) ينظر فتح الباري (١٠/ ٥٣٩) .

(٢) ينظر شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٤) ، ط ٢ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ .

(٣) قال الهيثمي : (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ... وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٢٢/٨) ، القاهرة : مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤م ، وحسنه من المعاصرين الألباني رحمه الله ينظر : كتابه صحيح الجامع حديث رقم: ٣٧٣٣.

وأخرجه البخاري أيضاً في الأدب المفرد من حديث عبد الله بن عمر بهذا السند وقال عنه الحافظ ابن حجر سند ضعيف ؛ ينظر : فتح الباري شرح البخاري لابن حجر (١٣/١٥٥) مصر : البابي ، ١٣٧٨هـ ، ١٩٥٩م.

(٤) الأدب المفرد مخرجا ص: ٢٩٩ ، ط ٣ ، بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م .

وإنما كان كالكلام في حسنه وقبحه لأن الوزن كما قال ابن عبد البر لا يزيده معنى فهو فقط كلام منظوم[١].

ومن ثم سار الصحابة رضي الله عنهم مع الشعر على عادة العرب إنشاءً وإنشادا ورواية وحفظا فالشعر هو ديوان العرب (الذي فيه حياتهم ومآثرهم وحروبهم ومعيشتهم وكانوا بفطرتهم مطبوعين على الشعر لبدواتهم)[٢] والصحابة عربٌ أقحاحاً، بل كانوا يتذاكرون الشعر عند رسول الله ﷺ فقد أخرج أحمد وابن أبي شيبه والترمذي وصححه من حديث جابر بن سمرة قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينهاهم وربما تبسم»، وكان فيهم الشعراء كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وكعب بن زهير وغيرهم ورويت عنهم القصائد. ومن ذلك ما روى من شعر كعب بن مالك رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (رُويت من شعر كعب بن مالك أشعارٌ منها القصيدة فيها أربعون بيتا وسنده حسن)[٣] ولا غرو[٤] فقد اقتدى الصحابة بالقدوة الحسنة ﷺ؛ إذ كان يستمع للشعر كسماعه من شعر كعب بن زهير قصيدته بانت سعاد التي

---

(١) ينظر كتاب ابن عبد البر الاستذكار : (٢/ ٣٦٨) ، ط ١ ، بيروت : دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م ، وكتابه : الكافي في فقه أهل المدينة ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ .

(٢) (جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ص(٣٤١) ، ط (٢٩) دار الفكر (١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

(٣) فتح الباري ج(١٣) ص(٥٥) مرجع سابق والحديث الحسن هو من الأحاديث المقبولة.

(٤) أي لا عجب

ألقاها عليه ﷺ[١] بل إنه ﷺ استنشد الشعر (أي طلب إنشاده) حيث روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟». قلت: نعم، قال: «هيه»، فأنشدته بيتا، فقال: «هيه حتى أنشدته مائة بيت»[٢] وقد كافأ صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير ببردة ما روي أنّها البرءة عند[٣] ما أنشده القصيدة المشهورة بانت سعاد والتي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي متبول * متيم إثرها لم يفد مكبول

---

(١) انظر في تصحيح وتخريج حديث بانت سعاد موضوع صحة الإسناد في خبر بانت سعاد في مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣٩(١٤٢٥)أهـ رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٦٧٣).

(٢) صحيح مسلم انظر شرح النووي ج١٥ ص١١

(٣) انظر مجلة الأدب الإسلامي العدد٣٩ مرجع سابق

الرسول ﷺ والشعر :-

لا بد من التنبيه هنا على أنه ﷺ لم يقل الشعر أي لم ينشئ الشعر وما جاء عنه من كلام موزون نحو قوله: «الله مولانا ولا مولى لكم» وقوله: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» لم يكن شعرًا، يقول الإمام النووي عن مثل هذا(١): «لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا شعر له ولا أراده ولا يُعَّد ما وافق الموزون شعرا كذلك وإن كان الكلام موزونا» اهـ ، وقال رحمه الله أيضاً(٢): «لو قال كلا ما موزونا مقفئ غير أنه لم يقصد به الشعر ولم يقفه لم يسم ذلك الكلام شعرا ولا قائله شاعرا بإجماع العلماء والشعراء» اهـ ، ولا غرابة في ذلك فقد قال سبحانه عن حال رسوله ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾(٣) يقول الإمام القرطبي رحمه الله معلقا على هذه الآية(٤): «قد أخبر الله تعالى عن حال نبيه كان رسول الله ﷺ لا يقول الشعر ولا يزنه، وإصابته الوزن أحيانا لا يوجب أنه يعلم الشعر وكذلك ما يأتي أحيانا من نثر كلامه ما يدخل في الوزن كقوله يوم حنين وغيره: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن وفي كل كلام وليس ذلك شعراً ولا في معناه» اهـ ، وقال أهل البديع: (إذا قوى الانسجام في النَّثْرِ جاءت قراءته موزونة بلا قصد، لقوة

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي (ص١٦٤ج١) الطباعة المنيرة مصر
(٢) تهذيب الأسماء واللغات مرجع سابق
(٣) سورة يس أية(٦٩)
(٤) الجامع لأحكام القرآن

انسجامه ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونا...)[١] ولذا قال المرداوي الحنبلي[٢]: (ومنع ﷺ أيضاً من الشعر والخط وتعلمهما) .

واستدل بقوله تعالى لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩] [٣]

الشعر المحمود المباح :

الشعر يأتي منه النافع المفيد قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري من حديث أبي بن كعب: «إن من الشعر حكمة»[٤] يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه: «أي قولا صادقاً مطابقا للحق ومن ثم استحب الإمام الماوردي رحمه الله من الشعر ما حذر عن معصية أو حث على خير»[٥] وإن الناظر في دواوين الشعراء يشهد امتلائها من الحكم والمواعظ والتوجيهات الراشدة المسددة.

ومن ذلك قول زهير :

ومن يغترب يحسب عدوّا صديقه
ومن لا يكرّم نفسه لا يــكـــرّم

---

(١) [الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٩٦] للسيوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٨/ ٤١) ، بيروت : دار إحياء التراث العربي.

(٣) ينظر : البهوتي ، شرح منتهى الإرادات دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (١/ ٦١٩) ، ط ١ ، عالم الكتب، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

(٤) صحيح البخاري كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر انظر فتح الباري ص(١٥٦) ج(١٣) مرجع سابق

(٥) فتح الباري ص(١٥٦) ج(١٣) مرجع سابق

ومهما يكن عند امرئ من خليقة
ولو خالها تخفى على الناس تعلم

ومنه ما أورده السبتي في ديوانه فقال :

قل للفقيه مقالاً ليس يعدم من
حلو العتاب ومر العتب تمزيجا
إذا فطمت امرأ عن عادة قدمت
فاجعل له يا عقيد الفضل تدريجا
ولا تعنف إذا قومت ذا عوج
فربما أعقب التقويم تعويجا

ومن ناحية أخرى فإن للشعر نفعا في الدعوة ومواجهة الأعداء جاء في صحيح مسلم(١) عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك» وقال أيضاً: لحسان «أجب عني اللهم أيده بروح القدس» أخرجه مسلم(٢)وقد يمدح الشاعر وغرضه تمجيد صرح ، أو المحافظة على قوة أو رمز لا بد منه للإسلام والمسلمين ومن ذلك تمجيد بعض الشعراء المعاصرين لتركيا الخلافة قال الأستاذ محمد حسين رحمه الله: (إن موالاة تركيا والإشادة بها ومدح الشعراء للسلطان عبد الحميد لم يكن في حقيقة أمره إلا تمسكاً بخليفة المسلمين الذي يلي أمرهم ويجمع شملهم وأن الخروج عليه ومهاجمته لم يكن يعني في أفهام كثرة المعاصرين إلا موالاة المستعمرين أعداء

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم

المسلمين اهـ)[١] ، والشعر الذي غرضه الوصف ينقل صورة الحياة والكون بتعبيرات ربما تربو على صدق صورة (التلفاز) فيرتفع شعور الإنسان بعظمة الله ليحلق في مكنونات ومظاهر خلق الله عز وجل وقد يتخذ لبيان الواقع التاريخي بأبلغ وأحسن وصف ومنه غرض المدح لموصوف يستحق المدح لخصاله الحميدة يرفعه عند السامع فيحصل الإقتداء ،كما يظهر نفع الشعر في صنوف البيان والروعة التي تضفي على الإنسان نوعاً من الاسترواح وتنقله إلى آفاق سامية. ولأجل ذلك النفع الذي يكون في الشعر جوّز الفقهاء[٢] أن يكون الصداق أو المهر أبياتا من الشعر يعلمها الزوج زوجته. فالشعر إذن أداة ووسيلة يتوصل بها إلى جملة من المصالح والمنافع المختلفة والمتعددة وبالمقابل فالإباحة والنفع والجواز الشرعي ترتبط بالمعاني التي يتعلق بها .

(تنبيه) ولكي يكون الشعر إسلامياً ليس بالضرورة أن يكون في الأغراض التي ذكرناها بل المهم هو التقيد بالضوابط العامة[٣] يقول سيد قطب رحمه الله[٤]: «وليس من الضروري أن يكون دفاعاً ولا دفعاً ولا أن يكون دعوة مباشرة للإسلام ولا تمجيداً له أو لأيام الإسلام ورجاله ليس من الضروري أن يكون في هذه الموضوعات ليكون شعرا إسلاميا».

---

(١) من مقدمة الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص٩ مؤسسة الرسالة ص٨ (١٤٠٧/ ١٩٨٦)

(٢) انظر تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي ص(٢٢٢)ج١٠) والمبدع لابن مفلح الحنبلي ج٧ص(١٣٤)

(٣) والتي حاولنا في هذه الرسالة تجليتها وتحديدها ٠

(٤) في ظلال القرآن سورة الشعراء .

ومن كل ما تقدم نستطيع القول أن الأصل في حكم الشعر الإباحة وقد نسب الإمام النووي رحمه الله القول بأنه مباح إلى كافة العلماء يقول في «شرح مسلم»: «قال العلماء كافة هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه»(١) وقال الحافظ ابن حجر: «وَالَّذِي يَتَحَصَّل مِنْ كَلَام الْعُلَمَاء فِي حَدّ الشِّعْر الْجَائِز أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكْثُر مِنْهُ فِي الْمَسْجِد ، وَخَلَا عَنْ هَجْو ، وَعَنْ الْإِغْرَاق فِي الْمَدْح وَالْكَذِب الْمَحْض ، وَالتَّغَزُّل بِمُعَيَّنٍ لَا يَحِلّ . وَقَدْ نَقَلَ اِبْن عَبْد الْبَرّ الْإِجْمَاع عَلَى جَوَازه إِذَا كَانَ كَذَلِكَ» اهـ(٢)

---

(١) شرح مسلم للإمام النووي ص١٤ج١٥
(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٣٩)

الشعر المذموم

الشعر المذموم هو ما خرج عن الأصل في قول الشعر من الإفادة وعدم الضرر فمتى تضمن فحشا أو إيذاء أو كفراً أو فسقاً أو حراما كان مذموماً ٠ ومن خلال تتبع كلام العلماء يمكننا أن نعدد أصنافاً قد تتضمن الشعر المذموم منها ما يلي :-

أولا: الهجاء:

صرح العلماء بحرمة الهجاء ولو كان الشاعر صادقاً فيه لأنه يسبب الإيذاء وهو حرام ، وهذا في غير هجو النبي ﷺ وإلا كان كفرا .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: «الْقَلِيلَ مِنْ هَجْوِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَثِيرَهُ سَوَاءٌ فِي أَنَّهُ كُفْرٌ وَمَذْمُومٌ، وَكَذَلِكَ هَجْوُ غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُحَرَّمٌ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ»(١) .

وقد حمل الإمام الشافعي رحمه الله حديث «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيٌر له من أن يمتلئ شعرا»(٢) على الهجاء(٣)، لكن استثنى العلماء من حرمة الهجاء

الهجاء النافع مثل هجاء الكافر الحربي والمبتدع في حدود ما ابتدع والفاسق المعلن أي المجاهر في فسقه .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ١٥١) ، ط ٢ ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

(٢) صحيح البخاري باب ما يكره أن الغالب على الإنسان الشعر كتاب الأدب انظر فتح الباري ج١٣ص١٦٦وصحيح مسلم كتاب الشعر انظر شرح النووي عليه ج١٥ص١٣

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج(٦/ ٣٥٠

قال الخطيب الشربيني : «فإن كان -أي الهجاء- أي غير معصوم ..صَرَّحَ بِهِ الرُّويَانِيُّ وَغَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَمَرَ حَسَّانَ بِهَجْوِ الْكُفَّارِ» بَلْ صَرَّحَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ بِأَنَّهُ مَنْدُوبٌ وَمِثْلُهُ فِي جَوَازِ الْهَجْوِ الْمُبْتَدِعُ كَمَا ذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ، وَالْفَاسِقُ الْمُعْلِنُ كَمَا قَالَهُ الْعِمْرَانِيُّ، وَبَحَثَهُ الْإِسْنَوِيُّ، وَظَاهِرُ كَلَامِهِمْ جَوَازُ هَجْوِ الْكَافِرِ غَيْرِ الْمُحْتَرَمِ الْمُعَيَّنِ) [١].

تأثير الهجاء على النفس:

وإنما مُنع الهجاء لأن له تأثيراً على النفوس خصوصاً الأنفس العالية الشامخة الأبية (فعبد الملك يقول مغلظاً لصدى قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاء بـطونـكم
وجاراتكم غرثى يبـتـن خمـائـصا
احفظوا أنسابكم يا بني أمية فما أود
أن يكون لي ما طلعت عليـه الشمس

..... ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل هذا بجاراتنا ودعا عليه فما ظنك بشيء يبكي علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب السيف لما قال: حس) اهـ[٢] .

---

(١) مغني المحتاج للشربيني (٤ / ٤٣٠) ، وانظر تحفة المحتاج لابن حجر (١٠ / ٢٢٣)

(٢) من كتاب نحو منهج إسلامي لمصطفى علييان ص ٢٧١ وقوله: قال حس كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع.

إلا أنه يُستثني منه ما كان رداً على الهاجي قال تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾. قال عبد الكريم بن مالك الجزري: هو الرجل يشتمك فتشتمه ولكن إن افترى عليك فلا تفتري عليه اهـ[١].

وقد فسر ابن عباس والسدي الآية بأنه (لَا بَأْسَ لِمَنْ ظُلِمَ أَنْ يَنْتَصِرَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ بِمِثْلِ ظُلْمِهِ وَيَجْهَرَ لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ)[٢]

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾: (أَنْ لَا يَذْكُرُوا هَجْوَ أَحَدٍ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الِانْتِصَارِ مِمَّنْ يَهْجُوهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا قَالَ اللهُ تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [٣]

وإنما يجوز له ذلك بشرط أن لا يتعدى هجو الفرد إلى غيره كقبيلته ونحوها قال رسول الله ﷺ إن أعظم الناس عند الله فرية لرجل هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها ، ورجل انتفى من أبيه ، وزنى أمه[٤].

وهناك أغراض أخرى شبيهة بالهجاء وتكون محمودة كتصوير الحقائق السيئة والمبالغة في تهويلها في بيئة معينة

---

(١) من تفسير ابن كثير رحمه الله
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١) ، القرطبي .
(٣) الرازي ، مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٣٩) ، ط ٣ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠ هـ .
(٤) (هق عن عائشة) اهـ كنز العمال رقم ٧٩٥٣ . و قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥٣٩): صححه ابن حبان.

لتستحث كلمات الشعر ذوي الهمم والتأثير ولو مع ذكر الأشخاص بأسمائهم لأن هذا يندرج تحت قول العلماء تجوز الغيبة للفاسق المعلن وإنما تذكر الأسماء إذا أصبح أصحابها معلنين مجا هرين والله أعلم .

ثانيا: الإغراق في المدح والإطراء

إذا جاوز المدح والإطراء الحد،ولا يمكن حمل هذا المدح والإطراء على المبالغة فيحرم لأنه يصير كذبا مع عدم إمكانية حمله على محمل لغوي يعتاد في اللسان العربي قال في «الروضة»[1]: «وإن كان يمدح الناس ويطري نُظر ، فإن أمكن حمله على ضرب المبالغة جاز وإن لم يكن حمله على المبالغة وكان كذباً فالصحيح الذي عليه الجمهور أنه كسائر أنواع الكذب.... و) قال القفال والصيدلاني لا يلحق بالكذب لأن الكاذب يوهم الكذب صدقاً بخلاف الشاعر فعلى هذا لا فرق بين قليله وكثيره وهذا حسن بالغ» اهـ .

ومن ناحية أخرى يمكننا القول بأن المدح إن كانت الصفة الممدوح بها لها أصلٌ في صاحبها ثم أريد المبالغة كان جائزاً لأن له أصلاً في الصدق كالشجاع الذي يبالغ في مدحه. أما لو لم يكن له أصل في صاحبه بأن كان الممدوح جباناً في أصله فيكون المدح والمبالغة فيه من الكذب .

وإنما لم توصف المبالغة بالكذب لأنها من صنعة الشعر، تقوم عليها أغراضه المتعددة في التصوير والخيال والانفعال ،والحد الفيصل بين القبول فيها والرفض هو وجود جذر تتنامى منه الصفة وتمتد فيكون الوصف صادقاً بهذا الأساس يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (وللتوسع في المدح فإنه وإن كان كاذباً فإنه لا يلحق في التحريم كقول الشاعر:

ولو لم يكن في كفه غير روحه　　　لجاد بها فليتق الله سـائـلـه

(١) الروضة للإمام النووي (١٦٦/٤)

فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء، فإن لم يكن صاحبه سخياً كان كاذباً وإن كان سخياً فالمبالغة من صنعة الشعر، فلا يقصد منه أن يعتقد صورته) «الإحياء» (١٢٦/٣) اهـ[١]ونفس ما يقال في المدح يقال في الرثاء والفخر؛ لأن غرضهما هو المدح يقول الدكتور مصطفى عليان في كتابه القيم «نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده» ص٦٩: الموقف من إنشادهما (أي الرثاء والفخر) وروايتهما هو الموقف ذاته من رواية المدح) .

ثالثاً: الرثاء:

هو غرض من الأغراض ويمكن إرجاعه إلى المدح غير أنه لما كان فيه ذكر لمحاسن الميت فقد تدخله النياحة والندب الذي فيه تعديد لشمائل الميت وصفاته، وهو مسلك غير سوي في الإسلام بل إن وصل الفعل كما عليه الجاهلية من قولهم واكذا مع البكاء دخل في الحرمة -كما في «المجموع»- وإلا فهو مكروه إلا إن كان الرثاء لتوجيه أنظار الآخرين لصفاته التي يُقتدي بها فيندب ويصبح مرغَّباً فيه والله أعلم، قال العلامة باعشن في كتابه «بشرى الكريم»: (ويكره ترثيته بذكر محاسنه في نظم أو نثر للنهي عنها ومحلها حيث لا يندب معها و إلا حرمت نعم إن كان بحق في نحو عالم وخلت عن نحو الندب ندبت اهـ وقد تقدم قول الدكتور مصطفى عليان : إن الرثاء والفخر الموقف منهما كالموقف من المدح والله أعلم.

(١) نقله د/ عليان في نحو منهج ص٦٧.

رابعاً: الغزل بامرأة معينة

يجوز إنشاء الغزل وجعله غرضاً في الشعر وقد جاء في قصيدة كعب(بانت سعاد) من الغزل ما هو معروف، لكن بشرط عدم التشبيب أو التغزل بامرأة معينة فلا يجوز ولو كان تعريضا من غير تصريح ويستثنى التغزل بحليلته كالزوجة فيكره، ما لم تتأذَّ بإظهاره وإلا فيحرم[١] وإذا ذكر زوجته بما حقه الإخفاء ترد شهادته لسقوط مروءته كما لو وصف أعضاء باطنة)[٢]. فإذا لم يكن فيه إيذاء أو ضرر بأحد كان الأصل أنه جائز وغرض لا يذم يقول النووي: «إن التشبيب صنعة وغرض الشاعر تحسين الكلام لا تحقيق المذكور» [٣]

.

(تنبيه) ما تقدم من الكلام عن الغزل وحكمه إنما هو في قرض الشعر أما روايته فقد يكون لها غرض حسن وإن كان الشعر فاحشاً، ومن ثم لم يتردد الفراء (عند تفسير غريب القرآن وهو في القرن الثاني الهجري) لم يتردد رحمه الله في اتخاذ شعر الرفث شاهداً معيناً في التفسير ولم يبرح الإحسان في ذلك إذا لم يقصد إلى الفحش ولم يطلبه لذاته)[٤]

---

(١) قاله الشيخ علي الشبراملسي انظر عبدالحميد على التحفة .

(٢) الروضة (١٦٦/٤)

(٣) الروضة (١٦٦/٤)

(٤) نحو منهج لعلييان ص(١٢)

امتلاء الشاعر من الشعر مع الخلو من ذكر الله :

إذا لم يكن عند الشاعر إلا الشعر فقلبه خاوٍ من الذكر الذي سيعينه على السلوك والتصرف السليم في قوله وشعره فيصبح هذا الشعر مذموماً ووبالاً عليه مهما ترقَّى في أعين الناس ، يقول الإمام القرطبي رحمه الله موجها قول النبي صلى عليه وسلم «لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعر»[١] قال رحمه الله: «أحسن ما قيل فيه إنه الذي غلب عليه الشعر وامتلأ صدره منه دون علم سواه ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد له كالمكثر وصف الخمر لذاتها من اللفظ والهذر والغيبة وقبيح القول»[٢] .

وقال الغزالي : «التجرد له -أي الشعر- مَذْمُومٌ» ثم ذكر الحديث [٣].

وأخيراً يدخل في المذموم ما تضمن باطلا كالكذب والاستهزاء بشيء من أمور الشرع أو الدين أو النيل من مقدسات الأمة أو ربها أو نبيها بل قد يصير كفرا وردة عن الإسلام ومن ثم يكون قائله مرتدا إذا وجدت شروط الردة وانتفت موانعها.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ١٢٦) ، بيروت : دار المعرفة .

رواية الشعر :

تتابع المسلمون على رواية الشعر يتناقله العلماء ويشجعه الخلفاء فهارون الرشيد رحمه الله رصد عشرة آلاف درهم لمن يروي قصيدة الأسود بن يعفر النهشلي الدالية اهـ[١] فالشعر فيه تجلية لمعاني ألفاظ القرآن وأحاديث المصطفى ومن ثم كانت رواية الشعر ضرورية إذ فيه لسان العرب الذي جاء به الكتاب وتناقله فريضة مهما كان موضوعه وما فيه سواء الحسن والقبيح وناقل ليس بكافر. غير أننا يجب أن نسد هذا الباب على من له غرض خبيث كنشر المجون أو الزندقة. يقول الدكتور مصطفى علييان عن قاعدة «ناقل الكفر ليس بكافر» : «لا ننكر ذلك (بل) ننكر أن يكون تحرير هذه القاعدة من كل قيد متنفساً لأصحاب الأهواء الشعوبية، وملاذاً لذوي المقاصد المذهبية في استباحة القيم بالإغراء بالفاحشة والترويج للرذيلة والتبذل ونزع رداء الخوف الكفر وتشجيع العدوان على العقيدة والخروج على ثوابت الإسلام بمنكرات الأقوال والأفعال وإضفاء الشرعية على ألوان المجون والفسق والإلحاد بالإبهام بشهود الخلفاء والأمراء وإغضاء الفقهاء منها»[٢] .

---

(١) نحو منهج لمصطفى علييان ص١٥.
(٢) نحو منهج أيضاً ص٨.

البسملة قبل الشعر :

(قال أبو جعفر النحاس: اختلف العلماء في كتب " بسم الله الرحمن الرحيم " أمام الشعر؛ فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهري، وأجازه النخعي، وكذا يروي عن ابن العباس، قال: اكتب " بسم الله الرحمن الرحيم " أمام الشعر وغيره؛ قال أبو جعفر: ورأيت علي بن سليمان يميل إلى هذا، وقال: ينبغي أن يكتب أمام الشعر " بسم الله الرحمن الرحيم " لأنه يجيء بعده " قال فلان " وما أشبه ذلك.. قلت أنا: إنما هذا في الشعر إذا دون، فأما قصيدة رفعها الشاعر إلى ممدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها، لكن بعدها، وإذا كان الأمر هكذا فلا سبيل إلى كتاب البسملة؛ لأن العذر حينئذ ساقط.) (١).

ويمكننا تفصيل ضوابط في الرواية للتنبيه على ما يمكن أن يترتب عليها فنذكر من ذلك :

رواية الهجاء(٢) :

الهجاء سباب يتحمل الرواية وزر ما يحمل منها غير أننا نحتاج كما قدمنا إلى الشعر الذي يتضمن الهجاء كغيره من الأغراض ولعل ذلك يندرج تحت قول الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان «أنشد من الشعر الجاهلية فإن الله قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته» اهـ ويدخل في ذم رواية الهجاء ما يسمى بهجو الأشراف أو الذم بعدم الالتزام بقيم الشرف والمبادئ العامة.. إن مثل هذا الشعر منعه الإسلام ونهى عن

---

(١) [العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢/ ٣٠٩] لابن رشيق

(٢) هذا الفرع من كتاب نحو منهج إسلامي في رواية الشعر للدكتور مصطفى عليان بتصرّف (٢٧٢-٢٧٦) مع ص (٢٥٧).

أن يتخذ زاداً في الرواية أو عدة لأحاديث المفاكهة في المجالس اهـ ، ولذلك نرى عدداً من نقلة الشعر وروايته نراهم أعرضوا عن من يشتم صاحبه بالهجاء الذي (وصل لدرجة بالغة في الذم) لا تجوز معها روايته ونقله، ومن ذلك: عزوف ابن خليكان في «وفيات الأعيان» عن شعر ابن التعاويذي في الهجاء وقال عنه: «فأضربت عن ذكره مع أنها أبيات جيدة» وقد أضرب أبو الحسن على بن بسام (ت٥٤٢ هـ) في كتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» عن شعر محمد عبد الله بن صار الشنتيرني) كما أحجم عن شعر جرير والفرزدق، وأما الأصمعي (ت٢١٦هـ) (فقد) أعرض (كذلك) عن شعر جرير والفرزدق على أنه يمكن القول بأن رواية الهجاء في الوقت الحاضر قد يختلف حكمها الشرعي من حيث غرض النقل لهذا الهجاء نفسه فإذا كان لغرض إرادة شاهد أو توضيح غريب.. فيمكن القول بجوازه في حدود الدرس ودون ذكر للمقول فيه أو مع إخفائه.. أما إذا كان كرواية تعلن في مجلس شعر أو في أناشيد أو نحوها فالأصل أنه لا يجوز ويمكن أن يأتي فيه الأثر «من روى هجاء مقذعاً فهو أحد الشامتين».

(فرع) نهى النبي ﷺ عن قرض الشعر بعد العشاء وكأنه راجع إلى أنه من الكلام العادي، وقد جاء في البخاري ومسلم عن أبي برزة «أن الرسول ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها» وأما خصوص الشعر فقد روى أحمد والبزار في «مسنديهما» والطبراني في «الكبير» من حديث

شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة») [(١)] .

متفرقات:

الاقتباس من القرآن والحديث:

الاقتباس[(٢)] تضمين الشعر أوالنثر بعض القرآن لا على أنه منه بأن لا يقال فيه قال الله تعالى ونحوه، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله. وأما أهل مذهبنا فقد تعرض له جماعة من المتأخرين فسئل عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأجازه، واستدل له بما ورد عنه ﷺ من قوله في الصلاة وغيرها: «وجهت وجهي.. إلخ» وقوله: «اللهم فالق الصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً، اقض عني الدين وأغنني من الفقر». و القاضي أبو بكر من المالكية صرح بأن تضمينه في الشعر مكروه، وفي النثر جائز. واستعمله أيضاً في النثر القاضي عياض في مواضع من خطبة «الشفاء». وقال الشرف إسماعيل بن المقري اليمني صاحب «مختصر الروضة» في «شرح بديعته»: ما كان منه في الخطب والمواعظ ومدحه ﷺ وآله وصحبه ولوفي النظم فهو مقبول، وغيره مردود. وفي «شرح بديعته»: من حجة الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود. فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود، والثاني: ما كان في الغزل والرسائل

---

(١) رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير وفيه قزعة بن سويد الباهلي وثقه ابن معين وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات اهـ مجمع الزوائد للهيثمي .

(٢) الإتقان (١٣٢/١)

والقصص، والثالث: على ضربين: أحدهما ما نسبه الله إلى نفسه، والآخر تضمين آية في معنى الهزل اهـ.

قلت: وهذا التقسيم حسن جداً وبه أقول. وذكر الشيخ تاج الدين ابن السبكي في «طبقاته» في ترجمة الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية وأجلائهم أن من شعره قوله:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف
ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في آياته
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

انتهى بتصرف

(فائدة) اختلف العلماء في إقامة الحد على الشاعر بما يصدر في شعره من اتهام أو اعتراف أو غيره قال ابن كثير رحمه الله إن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيتكثرون بما ليس لهم ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حداً : هل يقام بهذا الاعتراف أم لا لأنهم يقولون مالا يفعلون على قولين اهـ[١] وقال في «البيان»: «وإن تسبب بامرأة ذكرها بفحش فسق بذلك وكان قاذفا» اهـ[٢] .

(١) تفسير ابن كثير (٤٦٧/٣)
(٢) البيان (ص١٣/٣٠١) عنه الشيخ سعد عبد الله السعدان في مقالته الشعراء والشعراء في الميزان الشرعي.

الخاتمة

وعلى هذا التوجيه في الفرق بين الشعر النافع والمذموم والقبيح والحسن كان قول المفسرين في قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾(١) جاء في «تفسير ابن كثير» رحمه الله «عن ابن عباس يعني الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن وعن ابن عباس أيضاً في لغو يخوضون وعنه أيضا قال: كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وأنهما تهاجا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء» (٢) يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال المفسرون في هذه الآية المراد بالشعراء شعراء المشركين فيتبعهم غواة الناس ومردة الشياطين وعصاه الجن ويروون شعرهم»(٣). وفي البخاري (في الترجمة): «قال ابن عباس في كل واد يهيمون أي كل لغو يخوضون»(٤) وزاد الحافظ شارحه «وقال غيره يهيمون أي يقولون في الممدوح والمذموم ما ليس فيه فهم كالهائم على وجهه والهائم المخالف

---

(١) سورة الشعراء الآيات (٢٢٤/٢٢٧)
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٦٦) ط١مؤسسة الرسالة بيروت (١٤٢٢/٢٠٠١م)
(٣) فتح الباري شرح البخاري لابن حجر ص(١٣/١٤٤) مرجع سابق
(٤) صحيح البخاري كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر انظر فتح الباري (١٣/١٥٥)

للقصد»[١] ومن هنا كانت الآيات دليلا على الإباحة وليس الذم قال ابن قدامه في «المغني»: «وقع الذم على الأغلب واستثنى منهم من لا يفعل الخصال مذمومة فالآية دليل على إباحته ومدح أهله المتصفين بالصفات الجميلة»[٢]

والخلاصة التي يمكننا الوصول إليها أنه «يجوز قول الشعر إذا لم يكن فيه فحش ولا هجو ولا مدح مفرط ولا كذب»[٣] «والإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن منهج الأهواء و الانفعالات التي لا ضابط لها» ونختم بقول الإمام أبي بكر ابن العربي المالكي رحمه الله: «إن الشعر ليس يكره لذاته وإنما لمتضمناته».

هذا ما وُفقنا لجمعه وتسطيره فنسأل الله القبول والإخلاص والنفع فيه .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

---

(١) فتح الباري شرح البخاري لابن حجر (١٤٥/١٣).
(٢) المغني لابن قدامه الحنبلي (١٧٦/١٠)
(٣) البيان للعمراني (٣٠٠/٣) ، ط١، دار المنهاج جدة (٢٠٠٤/١٤٢٥م)

المراجع

القرآن الكريم
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
تفسير ابن كثير
في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب
الإتقان للسيوطي
صحيح البخاري
صحيح مسلم
فتح الباري شرح لابن حجر ط البابي بمصر (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م)
شرح صحيح مسلم للنووي
مجمع الزوائد للهيثمي جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ط (٢٩) دار الفكر (١٤٠٣) (١٩٨٣)
روضة الطالبين للنووي
تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي وحواشيها
مغني المحتاج للخطيب الشربيني
العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق
الإنصاف لعلي بن سلمان المرداوي الحنبلي
المبدع لابن مفلح الحنبلي
تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي المطبعة المنيرية مصر
نحو منهج إسلامي في رواية الشعر) للدكتور / مصطفى عليان

الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر مؤسسة الرسالة (١٤٠٧/ ١٩٨٦)لمحمد حسين.
مقدمة الأستاذ محمد بن هاشم لديوان الشاعر زين العابدين الجنيد
الشعراء والشعراء في الميزان الشرعي، مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣٩(١٤٢٥)، الشيخ سعد عبد الله السعدان.

الموضوعات

كتب ورسائل للمؤلف:

١) الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة

٢) أحكام التصنيع في الفقه الإسلامي.

٣) الأوراق النقدية حقيقتها وأحكامها في الفقه الإسلايم.

٤) فك الإغلاق عن صيغ الطلاق .

٥) اليواقيت في ضوابط وأحكام المواقيت .

٦) غير المعتمد في منهاج النووي .

٧) النبراس في أحكام الحيض والاستحاضة والنفاس .

٨) أحكام عقد الصرف وتقلب أسعار العملات.

٩) الرأي السديد عند اجتماع الجمعة والعيد.

١٠) تعليقات على فوائد النكاح للعلامة فضل بن عبد الرحمن بافضل.

١١) آليات التنمية في الشريعة الإسلامية.

١٢) حوار الحضارات الممكن الناجع والآلية.

١٣) تنمية الشعور بالمسؤولية لدى أفراد المجتمع.

١٤) إضراب العاملين عن العمل في الفقه الإسلامي.

١٥) حسن المقال في استحالة رؤية الهلال.

١٦) مدخل إلى الفقه في حضرموت.

١٧) إعانة السالك إلى ألفية ابن مالك.

١٨) الشرح المنشود على مراقي السعود.

١٩) ختان الإناث ـ كيفية وأهمية وأخطاء وتتمات ـ.

٢٠) إفهام النجيب بالوصية بمثل النصيب مع ملحق حساب الوصية مع الإرث.

٢١) من أحكام الشعْر الفقهية.
٢٢) مباحث في أحكام الزكاة.
٢٣) النظرية العامة للتنمية في الإسلام.
٢٤) السير التنموي الناجع.
٢٥) جمع النيتين في عمل واحد.
٢٦) هل يبرأ الجاني أو عاقلته شرعاً بدفع الدية القانونية.
٢٧) الشيخ الإمام سالم بن فضل بافضل مع ملحق عن زاويته ونبذه عن الشيخ فضل بن عبدالله بافضل.
٢٨) الإحسان في مختصر علوم القرآن.
٢٩) تحديد المستحق لجائزة المسابقات العلمية عن طريق القرعة بين الفائزين.
٣٠) ضوابط ومسائل نحتاجها في المعاملات المعاصرة.